نسبُ زبيد ومراد

قال ابن هشام: زُبَيْدٌ: ابن سَلَمة بن مازن بن مُنَبِّه بِن صَعْب بن سعد العشيرة بن مَذْحِج، ويقال: زُبَيْدُ بن مُنَبِّهِ بن صَعْب بن سعد العشيرة، ويقال: زبيد بن صعب بن سعد ومُرَادٌ: يُحَابر بن مَذْحِج.

السبب الذي من أجله قال عمرو بن معدي كرب هذا الشعر

قال ابن هشام: وحدثني أبو عُبَيْدَةَ قال: كتب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلى سَلْمَانَ بن ربيعة الباهلي (وبَاهِلَةُ: ابن يَعْصُرَ بْنِ سَعْد بن قَيْسِ بن عَيْلاَنَ) وهو بـ «أَرمِينِيَةَ»، يأمره أن يفضّل أصحاب الخيل العِرَابِ على أصحاب الخيل الْمَقَارِفِ[1]، في العطاء، فعرض الْخَيْلُ، فمر به فرس عمرو بن معدي كرب، فقال له سَلْمَانُ: فَرَسُكَ هذا مُقْرِفٌ، فغضب عمرو فقال: هَجِينٌ عَرَفَ هَجِيناً مِثْلَهُ، فَوَثَبَ إليه قَيْس فتوعَّده[2]، فقال عمرو هذا الأبيات.

قال ابن هشام: وهذا الذي عَنى سَطِيحٌ الكاهنُ بقوله: «لَيَهْبِطَنَّ أَرْضَكُمُ الْحَبَشْ؛ فَلَيَمْلِكُنَّ مَا بَيْنَ أَبْيَنَ إِلَى جُرَشْ» والذي عنى شِقٌّ الكاهنُ بقوله: «لَيَنْزِلَنَّ أَرْضَكُمُ السُّودَانْ؛ فَلَيَغْلِبُنَّ عَلَى كُلِّ طَفْلَةِ ٱلْبَنَانْ؛ وَلَيَمْلِكُنَّ مَا بَيْنَ أَبْيَنَ إِلَي نَجْرَانْ».

أبرهة يغلب أرياط على أمر اليمن

قال ابن إسحاق: فأقام أرياط بأرض اليمن سِنِينَ في سلطانه ذلك، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمنِ أبْرَهَةُ الحبشيُّ، حتى تَفرَّقَتِ الحبشة عليهما، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم، ثم ثار أحدهما إلى الآخر، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط: إنَّكَ لا تَصْنَعُ بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئاً، فأبْرُزْ إليَّ وأبْرُزُ إليك، فأيُّنا أصاب صاحبَهُ انصرف إليه جُنْدُهُ، فأرسل إليه أرياط: أَنْصَفْتَ، فخرج إليه أبْرَهَة، وكان رجلاً قصيراً لحيماً، وكان ذَا دِينٍ في النصرانية، وخرج إليه أرياط، وكان رجلاً جميلاً عظيماً طويلاً، وفي يده حَرْبَةٌ له، وخَلْفَ أبرهة غلامٌ له، يقال له عَتَوْدَةُ، يمنع ظهره، فرفع أرياط الحربةَ فضرب أبْرَهَةَ يريد يافوخه[3] فوقعت الحربة على جبهة أبرهة، فشَرَمَت حاجبه[4]

---

(١) المقارف: جمع مقرف وهو من الخيل الذي أبوه هجين وأمه عتيقة.

(٢) قال الخشني: فتواعده، فتوعَّده: معناهما جميعاً: هدَّده.

(٣) اليافوخ: وسط الرأس.

(٤) فشرمت حاجبه: أي شقته. يقال شرمت أنف الرجل إذا شققته.

وأَنْفَهُ وعَيْنَه وشَفَتَهُ، فبذلك سمى أَبْرَهَةَ الأَشْرَمَ، وحمل عَتَوْدَةُ على أرياط من خلف أبْرَهَة فقتله، وانصرَفَ جند أرياط إلى أَبْرَهَةَ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن، ووَدَىٰ أبرهةُ أرياطَ[1].

النجاشي يغضب على أبرهة ثم يرضى عنه ويوليه أمر اليمن

فلما بلغ ذلك النجاشيَّ غَضِبَ غضباً شديداً، وقال: عدا على أميري فقتله بغير أَمْرِي، ثم حلف لاَ يَدَعُ أبرهة حَتَّىٰ يطأ بلاده، ويَجُزَّ ناصيته، فحلق أبرهةُ رَأْسَهُ، وملأ جراباً من تراب اليمن، ثم بعث به إلى النجاشيِّ، ثم كتب إليه: أيها الملك، إنما كان أرياطُ (٨/ ب) عَبْدَكَ، وأنا عَبْدُكَ، فاختلفنا في أمرك، وكُلٌّ طَاعَتُهُ لك، إلا أَنِّي كنْتُ أَقْوَىٰ على أمر الحبشة، وأَضْبَطَ لها، وأَسْوَسَ منه، وقد حلقتُ رأسي كُلَّهُ حين بلغني قَسَمُ المَلِكِ، وبعثت إليه بجرابِ ترابٍ من أرضي ليضعه تحت قدميه، فيبرّ قسمه فِيَّ.

فلما انتهى ذلك إلى النجاشيِّ، رضي عنه، وكتب إليه: أَنِ انْبُتْ بأرضِ اليمنِ حتى يأتيك أمري، فأقام أبرهة باليمن.

أبرهة يحاول صرف العرب عن الحج إلى مكة

ثم إن أبرهة بَنَى القُلَّيْسَ[2] بصَنْعَاءَ؛ فبنى كنيسة لم يُرَ مثْلُهَا في زمانها بشيء من الأرض، ثم كتب إلى النجاشيِّ: إني قد بنيتُ لك، أيها الملك، كنيسةً لم يُبْنَ مثلُها لملك كان قبلك، ولست بِمُنْتهٍ حتى أصرف إليها حَجَّ العرب.

تفسير النسأة والنسيء

فلما تحدَّثَتِ العربُ بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشيِّ غضب رجلٌ من النَّسَأَةِ، أَحَدِ بني فُقَيْم بن عَدِيِّ بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خُزَيْمَةَ بن مُدْرِكَةَ بن إلياس بن مُضَرَ (والنَّسَأَةُ: الذين كانوا يَنْسَئُونَ الشهور على العرب في الجاهلية، فيُحِلُّونَ الشهر من الأشهر الحُرُم، ويُحَرِّمُونَ مكانه الشهر من أشهر الحِلِّ؛ ويُؤَخِّرُونَ ذلك

---

(١) أودى أبرهة أرياط: يعني أنه أعطى ديته لقومه.

(٢) القليس: هو اسم الكنيسة التي بنى، وهو مشتق من قلس الشيء إذا ارتفع، وكان أبرهة قد استذل أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة، وجشمهم فيها أنوعاً من السخر، وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب، من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام ـ وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ، وكان فيه بقايا من آثار ملكها ـ فاستعان بذلك على ما أراده في هذه الكنيسة من بهجتها وبهائها، ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضة ومنابر من العاج والآبنوس، وكان أراد أن يرفع في بنائها حتى يشرف منها على عدن.

الشهر[1]؛ ففيه أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٧] [٢٢].

قال ابن هشام: ليواطئوا: ليوافقوا، والمُوَاطَأَةُ: الموافقة؛ تقول العرب: وَاطَأْتُكَ على هذا الأمر، أي: وافقتك عليه، والإيطاء في الشعر: الموافقة، وهو اتفاق القافيتَيْن من لفظ واحد وجنس واحد؛ نحو قول العَجَّاج (واسم العجاج: عبد الله بن رُؤْبَةَ، أحد بني سعد بن زيد مَنَاةَ بن تميم بن مُرِّ بْنِ أَدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَرَ بن نِزَارٍ) [من الرجز]:

فِـي أُثْـعُـبَـانِ الْـمَـنْـجَـنُـونِ الـمُـرْسَـلِ[2]

ثم قال [من الرجز]:

مَدَّ الْخَلِيجِ فِي الْخَلِيجِ الْمُرْسَلِ[3]

وهذان البيتان في أرجوزة له.

أول من نسأ الشهور ومن قفا أثره

قال ابن إسحاق: وكان أولَ من نَسَأَ الشهور على العرب: فأحلَّتْ منها ما أَحَلَّ، وحرَّمَتْ منها ما حَرَّمَ؛ القَلَمَّسُ (وهو حُذَيْفَةُ بن عَبْد بن فُقَيْم بن عَدِيّ بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خُزَيْمَة) ثمّ قام بعده على ذلك ابنُه عَبَّادُ بْنُ حذيفة ثم قام بعد عبَّادٍ قَلَعُ بن عَبَّاد، ثم قام بعد قَلَعٍ أُمَيَّةُ بن قلع، ثم قام بعد أمية عَوْفُ بن أمية، ثم قام بعد عوف أبو ثُمَامَة جُنَادَةُ بن عوف، وكان آخرهم، وعليه قام الإسلام.

وكانت العرب ـ إذا فَرَغَتْ من حجها ـ اجتمعت إليه؛ فحرَّم الأشهر الحرُمَ الأربعة: رجباً، وذا القَعْدَة، وذا الحِجَّة، والمُحَرَّمَ، فإذا أراد أن يحل منها شيئاً أحل المحرم فأحلوه، وحَرَّم مكانه صفر فحرموه؛ ليواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحرم، فإذا أرادوا

---

[٢٢] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٢٤ ـ ١٣٠) بسنده إلى ابن إسحاق، وسنده ضعيف لجهالة شيخ عبد الله بن أبي بكر.

---

(١) تأخير شهر إلى شهر، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية يجعلون المحرم مكان صفر، فيؤخرونه إليه. وإنما كان يفعل ذلك المحاويج من كنانة، ليُغيروا على بعضهم فيستاقون إبلهم وغنمهم، والفاعل لذلك هو جنازة بن عون. قال الشاعر مفتخراً بذلك [من الوافر]:

أَلَسْنَا النَّاسِئِينَ عَلَى مَعَدٍّ شُهُورَ الْحِلِّ نَجْعَلُهَا حَرَاما؟

(٢) الأثعبان: الثعب الذي يخرج منه الماء، والمنجنون: السانية. أي: يؤخر، فهي اسم.

(٣) الخليج: النهر الصغير يخرج من النهر الكبير. وينظر البيت في الروض الأنف (١/ ٦٥).

الصَّدَرَ[1] قام فيهم، فقال: اللهم إني قد أَحْلَلْتُ لهم أحد الصَّفَرَيْنِ الصَّفَرَ الأَوَّلَ، وَنَسَأْتُ الآخَرِ لِلعَامِ المُقْبِلِ؛ فقال في ذلك عُمَيْرُ بن قَيْسٍ جَذْلُ الطِّعَانِ[2] أحد بني فِرَاسِ بن غَنْم بن ثعلبة بن مالك بن كِنَانَةَ يفخر بالنَّسَأَةِ على العرب [من الوافر]:

لَقَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ أَنَّ قَوْمِي ... كِرَامُ النَّاسِ أَنَّ لَهُمْ كِرَامَا
فَأَيُّ النَّاسِ فَاتُونَا بِوِتْرٍ؟ (٩/أ) ... وَأَيَّ النَّاسِ لَمْ نُغْلِكْ لِجَامَا[3]؟
أَلَسْنَا النَّاسِئِينَ عَلَىٰ مَعَدٍّ ... شُهُورَ الْحِلِّ نَجْعَلُهَا حَرَامَا[4]؟

قال ابن هشام: أول الأشهر الحُرمِ المحرمُ.

رجل من كنانة يحدث في القليس

قال ابن إسحاق: فخرج الكناني حتى أتى القُلَّيْسَ فَقَعَدَ فيها [٢٣].

قال ابن هشام: يعني: أَحْدَثَ فيها.

قال ابن إسحاق: ثم خرج فلحقَ بِأَرْضِهِ، فأُخبر بذلك أبرهة، فقال: من صَنَعَ هذا؟ فقيل له: صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي تَحُجُّ العرب إليه بمكة، لما سمع قولك: «أَصْرِفُ إليها حَجَّ العَرَبِ» غضب فجاء فقعد فيها، أي: أنها ليست لذلك بأهل، فغضب عند ذلك أبرهة، وَحَلَفَ لَيَسِيرَنَّ إلى البيت حتى يهدمه.

أبرهة يسير ليهدم البيت ومعه الفيل

ثم أمر الحبشة فتهيَّأَتْ وتجهَّزَتْ ثم سار وخرج معه بالفيل، وسمعَتْ بذلك العرب فأعظموه، وفَظِعُوا به، وَرَأَوْا جهاده حقًّا عليهم، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام.

---

[٢٣] أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/١٩٣) عن ابن إسحاق به. وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٣٥٧) عن ابن إسحاق وقد وصف كلامه بأنه حسن مفيد. وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٩٣) من طريق يونس عن ابن وهب عن ابن زيد بنحوه. وقد روي مثله ابن عباس أيضاً.
أخرجه ابن مردويه في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٣/٢٧٣).

---

(١) فإذا أرادوا الصَدر: يعني الرجوع من مكة إلى بلادهم. وأصله في الماء، يقال: صدر عن الماء: إذا ورده ثم رجع عنه.

(٢) جذل الطعان: هو علقمة بن فراس بن غنم بن ثعلبة بن مَالك بن كنانة.

(٣) الوتر هنا: طلب الثأر.

(٤) ينظر: لسان العرب (١/١٦٧) (نسأ)، وتهذيب اللغة (١٣/٨٣)، وتاج العروس (١/٤٥٧) (نسأ)، ومعجم الشعراء ص (٢٤٣).

ذُو نفر من أشراف اليمن يجاهد أبرهة

فخرج إليه رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم ـ يقال له: ذُو نَفْرٍ ـ فدعا قومه ومن أجابه مِنْ سائر العرب إلى حَرْبِ أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام، وما يريد مِنْ هَدْمِهِ وإخرابه، فأجابه إلى ذلك مَنْ أجابه، ثم عرض له فقاتله، فَهُزِمَ ذو نَفْرٍ وأصحابه، وأُخِذَ له ذو نَفْرٍ فأتى به أسيراً، فلما أراد قتله قال له ذو نَفْرٍ: أيها الملك، لا تقتلني؛ فإنه عسى أن يكون بقائي مَعَكَ خيراً لك مِنْ قتلي، فتركه من القَتْلِ، وحبسه عنده في وَثَاقٍ، وكان أبرهة رجلاً حليماً، ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يُرِيدُ ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خَثْعَم عرض له نُفَيْلُ بن حَبِيبٍ الخثعمي في قبيلَي خَثْعَم: شهران، وناهس، ومن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه أبرهة، وأُخذ له نُفَيْلٌ أسيراً، فأتى به، فلما هَمَّ بقتله قال له نفيل: أيها الملك، لا تقتلني؛ فإني دليلك بأرض العرب، وهاتان يَدَايَ لك على قبيلَيْ خثعم: شهران وناهس، بالسمع والطاعة، فخلَّى سبيله، وخرج به معه يَدُلُّهُ، حتى إذا مَرَّ بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعَتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثَقِيفٍ، في رجال ثقيف (واسم ثقيف: قَسِيُّ بن النبيت بن منبه بن منصور بن يَقْدُمَ بن أفصى بن دُعْمِيِّ بن إياد بن نزار بن مَعَدِّ بن عدنان؛ قال أمية بن أبي الصلت الثقفي [من المنسرح]:

قَـوْمِـي إِيَـادٌ لَـوْ أَنَّـهُـمْ أَمَـمُ ... أَوْ لَـوْ أَقَـامُـوا فَـتُـهْـزَلَ الـنَّـعَـمُ[1]

قَـوْمٌ لَـهُـمْ سَـاحَـةُ الْـعِـرَاقِ إِذَا ... سَـارُوا جَـمِـيـعـاً وَالْـقِـطُ وَالْـقَـلَـمُ[2]

وقال أمية بن أبي الصلت أيضاً [من الوافر]:

فَـإِمَّـا تَـسْـأَلِـي عَـنِّـي لُـبَـيْـنَـى ... وَعَـنْ نَـسَـبِـي أُخَـبِّـرْكِ الْـيَـقِـيـنَـا[3]

فَـإِنَّـا لِـلـنَّـبِـيـتِ أَبِـي قَـسِـيٌّ ... لِـمَـنْـصُـورِ بْـنِ يَـقْـدُمَ الاقْـدَمِـيـنَـا

قال ابن هشام: ثقيف: قَسِيُّ بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَةَ بن قيس بن عَيْلاَنَ بن مُضَرَ بن نزار بن مَعَدِّ بن عدنان؛ والبيتان الأولان والآخران في قصيدتين لأمية.

---

(١) الأمم: القرب، يريد لو أنهم قريب، والنعم: الإبل. وقال بعض اللغويين: النعم كل ماشية أكثرها إبل.

(٢) القط والقلم: قد فسره ابن هشام.

(٣) ينظر: ديوانه (ص: ٨٤).
وينظر: ديوانه ص (٦٠) والروض الأنف (١/ ٦٨).

قال ابن إسحاق: فقالوا له: أيها الملك، إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خِلاَف، وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد (٩/ ب) ـ يعنون اللأت ـ إنما تريد البيتَ الذي بمكّة، ونحن نبعث معك من يدلك عليه، فتجاوَزَ عنهم.

اللات

واللات: بيت لهم بالطائف، كانوا يعظّمونه نحوَ تعظيم الكعبة.

قال ابن هشام: وأنشدني أبو عُبَيْدَةَ النحويُّ لضِرَار بن الخطاب الفِهْرِيِّ [من المتقارب]:

وَفَرَّتْ ثَقِيفٌ إِلَى لاَتِهَا ... بِمُنْقَلَبِ الْخَائِبِ الْخَاسِرِ

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحاق: فبعثوا معه أبا رِغَالٍ يدلُّه على الطريق إلى مكة، فخرج أبرهة ومعه أبو رِغَالٍ حتى أنزله الْمُغَمَّسَ[1]، فلما أنزله به مات أبو رِغَالٍ هنالك، فرجَمَتْ قَبْرَهُ العَرَبُ، فهو القبر الذي يرجم الناس بِالْمُغَمَّسِ.

الأسود بن مقصود يغير على مكة

فلما نزل أبرهة الْمُغَمَّسَ بعث رجلاً من الحبشة ـ يقال له: الأسود بن مقصود ـ على خيل له حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال تِهَامَةَ من قريش وغيرهم، فأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها، فهمَّتْ قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به؛ فتركوا ذلك.

أبرهة يرسل حناطة الحميري إلى أهل مكة

وبعث أبرهة حُنَاطَةَ الْحِميَرِيَّ إلى مَكَّة، وقال له: سَلْ عن سيد أهل هذا البلد وشريفها، ثم قل له: إن الملك يقول لك: إني لم آتِ لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فَإِنْ لم تَعَرَّضُوا لنا دُونَهُ بحرب فلا حاجة لي في دمائكم، فإن هو لم يُرِدْ حربي فأْتِنِي به، فلما دخل حُناطَةُ مكَّة سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل له: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ، فجاءه، فقال له ما أمره به أبرهة، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيتُ اللهِ الحَرَامُ، وبيتُ خليلِهِ إبراهيمَ ـ عليه السلام ـ أو كما قال، فإِنْ يَمْنَعْهُ منه فهو بيته وحرمته، وإن يُخَلِّ بينه وبينه فوالله ما

(١) قال أبو عبيد البكري: هو المغَمْس بكسر الميم وقد حكي فيه الفتح.

عندنا دفع عنه، فقال حناطة: فانطلِقْ معي إليه؛ فإنه قد أمرني أن آتيه بك، فانطلق معه عبد المطلب ومعه بَعْضُ بنيه، حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نَفْرٍ ـ وكان له صديقاً ـ حتى دخل عليه وهو في مَحْبِسِهِ، فقال له: يا ذا نَفْرٍ، هل عندك من غَنَاءٍ فيما نَزَلَ بنا؟ فقال له ذو نَفْرٍ: وما غَنَاءُ رَجُلٍ أسيرٍ بيدَيْ ملكٍ ينتظر أن يقتله غُدُوًّا أَوْ عَشِيًّا؟ ما عندي غَنَاءٌ في شيء مما نزل بك، إلاَّ أن أُنَيْساً سائسَ الفيل صَدِيقٌ لي، وسأرسل إليه فأوصيه بك، وأُعظِّمُ عليه حقَّكَ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلِّمه بما بدا لك، ويشفع لك عنده بخيرٍ إنْ قَدَرَ على ذلك، فقال: حسبي، فبعث ذو نَفْرٍ إلى أُنَيْسٍ فقال له: إن عبد المطلب سيد قريش، وصاحبُ عِيرِ مَكَّة، يطعم الناس بالسهل، والوحوشَ في رءوس الجبال، وقد أصاب له المَلِكُ مائتَيْ بعير، فاستأذِنْ له عليه، وانفعه عنده بما استطعت، فقال: أَفْعَلُ.

أنيس يستأذن لعبد المطلب على أبرهة

فكلَّم أنيس أبرهة، فقال له: أيها الملك، هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحبُ عِيرِ مكة، وهو يطعم الناس في السهل، والوحوشَ في رءوس الجبال، فَائْذَنْ له عليك فليكلِّمك في حاجته، قال: فَأَذِنَ له أبرهة.

عبد المطلب بين يدي أبرهة

قال: وكان عبد المطلب أَوْسَمَ الناس، وأجْمَلَهُمْ، وأعظمهم، فلما رآه أبرهة أجَلَّه وأعظمه، وأكرمه عن أن يُجْلِسَهُ تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بِسَاطِهِ وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه (١٠/ أ): قل له: حاجتك، فقال له ذلك الترجمان، فقال: حاجتي أن يَرُدَّ عليَّ الملكُ مائتي بعير أصابها لي، فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كُنْتَ أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زَهِدْتُ فيك حين كلمتني، أتكلِّمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دِينُكَ ودين آبائك قد جِئْتُ لهدمه لا تكلِّمني فيه؟ قال له عبد المطلب: إني أنا رَبُّ الإبل، وإن للبيت رَبًّا سيمنعه، قال: ما كان ليمتنع مني، قال: أنت وذاك.

وكان ـ فيما يزعم بعض أهل العلم ـ قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حُنَاطَةَ: يَعْمَرُ بْنُ نُفَاثَةَ بن عدي بن الدُّئِلِ بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ـ وهو يومئذ سيد بني بكر ـ وخُوَيْلِدُ بْنُ واثلة الْهُذَلِيُّ ـ وهو يومئذ سيد هذيل ـ فعرضوا على أبرهة ثُلُثَ أموال تهامة، على أن يرجع عنهم ولا يَهْدِمَ البيت، فأبى عليهم، والله أعلم أكان ذلك أم لا، فَرَدَّ أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصاب له.

عبد المطلب يأمر قريشاً بالجلاء ويستنصر الله

فلما انصرفوا عنه انصرف عبدُ المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة والتَّحَرُّزِ[1] في شَعَفِ الجبال[2] والشعاب[3]؛ تَخَوُّفاً عليهم من مَعَرَّةِ الجيش[4]، ثم قام عبد المطلب فأخذ بِحَلْقَةِ بابِ الكعبةِ، وقام معه نَفَر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب، وهو آخذ بحلقة باب الكعبة [من مجزوء الكامل]:

لاَ هُـمَّ، إنَّ الْـعَـبْـدَ يَـمْـ ... ـنَـعُ رَحْـلَـهُ فَـامْـنَـعْ حِـلاَلَـكْ[5]
لاَ يَـغْـلِـبَـنَّ صَـلِـيـبُـهُـمْ ... وَمِـحَـالُـهُـمْ غَـدْواً مِـحَـالَـكْ[6]
إنْ كُـنْـتَ تَـارِكَـهُـمْ وَقِـبْـ ... ـلَـتَـنَـا فَـأَمْـرٌ مَـا بَـدَا لَـكْ

قال ابن هشام: هذا ما صح له منها.

قال ابن إسحاق: وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيٌ [من الرجز]:

لاَ هُـمَّ أَخْـزِ الأَسْـوَدَ بْـنَ مَـقْـصُـوذْ ... الآخِذَ ٱلْـهَـجْـمَـةَ فِـيـهَـا التَّـقْـلِـيـذْ[7]
بَـيْـنَ حِـرَاءَ وَثَـبِـيـرٍ فَـٱلْـبِـيـذْ ... يَـخْـبِـسُـهَـا وَهْـيَ أُولاَتُ التَّـطْـرِيـذْ[8]
فَـضَـمَّـهَـا إِلَـىٰ طَـمَـاطِـمٍ سُـودْ ... أَخْـفِـرْهُ يَـا رَبِّ وَأَنْـتَ مَـحْـمُـودْ[9]

قال ابن هشام: هذا ما صَحَّ له منها، والطماطم: الأعلاج.

---

(١) التحرز: التمنع، ويروى: التحوز، هو أن ينحاز إلى جهة ويتمنَّع.
(٢) شَعَفُ الجبال: رؤوسها.
(٣) والشعاب: المواضع الخفية بين الجبال.
(٤) معَرة الجيش: شدّته.
(٥) الحلال بكسر الحاء جمع حلة وهي جماعة البيوت، والحلال بفتح الحاء خلاف الحرام.
(٦) المِحال: القُوة والشدة.
ينظر لسان العرب (محل ـ غدا ـ حلل)، تاج العروس (محل ـ غدا)، روض الأنف (١/ ٧٠) والبداية والنهاية (٢/ ٢٥١).
(٧) الهجمة: القطعة من الإبل قال بعضهم: هي ما بين الخمسين إلى الستين. والتقليد: أي في أعناقها قلائد.
(٨) حراء: جبل بمكة، وثبير: جبل أيضاً، والبيذُ: جمع بيداء، وهي القفر.
(٩) الطماطم: الأعاجم واحدهم طمطمانيّ، وأخفر: معناه أنقض عهده، يقال: أخفرت الرجل، إذا نقضت عهده، وخفرته إذا أجرته.
ومن رواه: أحفره بالحاء المهملة، فمعناه: أجعله منحفراً يريد خائفاً وجلاً.
وينظر الروض الأنف (١/ ٧٠)، وسبل الهدى والرشاد (١/ ٢١٨).

قال ابن إسحاق: ثم أرسل عبد المطلب حَلْقَةَ باب الكعبة، وانطلق هو ومَنْ معه مِنْ قريش إلى شَعَفِ الجبال، فتحرَّزوا فيها ينتظرون ما أبرهةُ فاعلٌ بمكَّة إذا دخلها.

الفيل يمتنع من السفير إلى مكة

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهَيَّأ فيله، وعَبَّئ جيشه وكان اسم الفيل محموداً[1]، وأبرهة مُجْمِعٌ لهدم البيت ثم الانصرافِ إلى اليمن، فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نُفَيْلُ بن حَبِيبٍ الخثعمي حَتَّى قام إلى جنب الفيل، ثم أخذ بأذنه فقال: ٱبْرُكْ محمودُ أو ٱرْجِعْ راشداً من حيث جئت؛ فإنَّكَ في بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل، وخرج نفيل بن حبيب يشتدُّ حتى أَصْعَدَ في الجبل[2]، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا رأسه بالطَّبَرْزِينِ[3] ليقوم فأبى، فأدخلوا مَحَاجِنَ[4] لهم في مَرَاقِهِ[5] فبزغوه[6] بها لِيَقُومَ فأبى، فوجَّهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول[7]، ووجَّهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجَّهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجَّهُوه إلى مكة فبرك[8]، فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثالَ الْخَطَاطِيفِ والْبَلَسَانِ[9]، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجرٌ في منقاره، وحجران (١٠/ب) في رجليه، أمثال الحِمَّصِ والْعَدَسِ، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا ويسألون عن نُفَيل بن حبيب ليدلَّهم على الطريق إلى اليمن، فقال نُفَيْلٌ ـ حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته ـ [من الرجز]:

أَيْـنَ الْـمَـفَـرُّ وَالإِلٰـهُ الـطَّـالِـبْ؟ وَالأَشْرَمُ الْـمَـغْـلُـوبُ لَـيْـسَ الْـغَـالِـبْ[10]

---

(١) يقال: إن هذا الاسم كان علماً لهذا الفيل خاصة. وقيل: بل هو علم للجنس كله، كما يقال للأسد: أسامة، ويكنى أبا الحارث، وقال بعضهم: إنما قيل لكل فيل محمود باسم هذا الذي جاء إلى البيت. والفيل على عظم جرمه من أفهم الحيوانات.

(٢) أصعَد في الجبل أي: علا في الجبل.

(٣) الطَّبْرِزينُ: آلة معقفة من حديد.

(٤) المحاجن: جمع محجن، وهي عصا معوجَّة وقد يجعل في طرفها حديد.

(٥) في مراقه: يعني في أسفل بطنه.

(٦) بزغوه: أي شرطوه بالحديد الذي في تلك المحاجن.

(٧) يُهرول: أي يسرع.

(٨) المراد امتنع من السير لأن الفيل لا يبرك.

(٩) الخطاطيف والبلسان: ضربان من الطير. فالخطاف: بفتح الخاء وتشديد الطاء: سمكة ببحر سبتة لها جناحان على ظهرها أسودان، تخرج من الماء وتطير في الهواء ثم تعود إلى البحر، قاله أبو حامد الأندلسي.

(١٠) ينظر البيت في: سبل الهدى والرشاد (١/ ٢٢١).

قال ابن هشام: قوله «ليس الغالب» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال نفيل أيضاً [من الوافر]:

أَلاَ حُيِّيتِ عَنَّا يَا رُدَيْنَا ... نَعِمْنَاكُمْ مَعَ الإِصْبَاحِ عَيْنَا
رُدَيْنَةُ، لَوْ رَأَيْتِ فَلاَ تَرَيْهِ ... لَدَىْ جَنْبِ الْمُحَصَّبِ مَا رَأَيْنَا
إِذَنْ لَعَذَرْتِنِي وَحَمِدْتِ أَمْرِي ... وَلَمْ تَأْسَىْ عَلَىْ مَا فَاتَ بَيْنَا[1]
حَمِدْتُ اللهَ إِذْ أَبْصَرْتُ طَيْراً ... وَخِفْتُ حِجَارَةً تُلْقَىْ عَلَيْنَا
وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ ... كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحِبْشَانِ دَيْنَا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويَهْلِكُونَ بكل مَهْلِكٍ، على كل مَنْهَل[2]، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أُنْمُلَةٌ أُنْمُلةٌ[3]: كلما سقطت أنملةٌ أتبعتها منه مِدَّةٌ تَمُثُّ[4] قَيْحاً ودماً، حتى قدموا به صنعاء[5] وهو مثل فَرْخِ الطائر، فما مات حتى انْصَدَعَ صَدْرُهُ[6] عن قلبه، فيما يزعمون [٢٤].

قال ابن إسحاق: حَدَّثني يعقوب بن عتبة أنه حُدِّثَ أن أول ما رُئِيَتِ الْحَصْبَةُ وَالْجُدَرِيُّ بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رُئِيَ بها مرائر الشجر[7] الْحَرْمَلُ والْحَنْظَلُ والْعُشَرُ[8]

---

[٢٤] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٣٢ ـ ١٣٧) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١١٥ ـ ١٢١) من طريق محمد بن إسحاق به. وقال البيهقي: كذا قال محمد بن إسحاق بن يسار في شأن عبد المطلب وأبرهة.

---

(١) ولم تأسي على ما فات بيننا، أي لم تحزني قال الله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

(٢) المنهل: موضع ورود الماء وجمعه مناهل.

(٣) الأنملة: طرف الإصبع، ويقال: أنملة أيضاً بفتح الميم.

(٤) تمثُّ: أي تسيل وقيل ترشح.

(٥) صنعاء: بلد باليمن وهي في موضعين أحدهما باليمن، وهي العظمى. والأخرى قرية بـ «غوطة دمشق». فأما اليمانية فقيل: كان اسمها قديماً أزال، فلما وافتها الحبشة ورأوها حصينة قالوا صنعاء، معناه حصينة؛ فسميت صنعاء بذلك، وهي قصبة اليمن. بنى أبرهة القليس، وأخذ الناس بالحج إليه، وقدم يزيد بن عمرو بن الصعق صنعاء، ورأى أهلها وما فيها من العجائب. فلما انصرف قيل له: كيف رأيت صنعاء؟ فقال [من الكامل]:

ومَنْ يَرَ صَنْعَاءَ الجنودِ وأهلها ... وجنود حِمْيَر قاطنين وحِمْيَرَا
يعلَمْ بأنَّ العيش قُسِّم بينهم ... حلَبُوا الصفاء فأنهلوا ما كدّرا

(٦) انْصَدَعَ صدره: أي انشق.

(٧) مرائر الشجر: يعني المرّ منها وهو جمع أمرار وأمرار جمع مرّ.

(٨) العشر: شجر. قال الكندي: أمرخ خيامهم أم عشر.

ذلك الْعَامَ [٢٥].

القرآن يذكر حادث الفيل

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله تعالى محمداً ـ ﷺ ـ كان مما يَعُدُّ الله على قُرَيْشٍ من نعمته عليهم وفضله ما ردعنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ [الفيل: ١، ٥] وقال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ [قريش: ١، ٤] أي: لئلاً يغير شيئاً من حالهم التي كانوا عليها لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه [٢٦].

قال ابن هشام: الأبابيل: الجماعات، ولم تتكلَّم لها العرب بواحد علمناه، وأما السِّجِّيلُ: فأخبرني يونس النحويُّ وأبو عبيدة أنه عند العرب: الشديد الصلب؛ قال رؤبة بن العَجَّاج [من الرجز]:

وَمَسَّهُمْ مَا مَسَّ أَصْحَابَ الْفِيلْ ... تَرْمِيهِمُ حِجَارَةٌ مِنْ سِجِّيلْ

وَلَعِبَتْ طَيْرٌ بِهِمْ أَبَابِيلْ[1]

وهذه الأبيات في أرجوزةٍ له، وذكر بعض المفسِّرين أنهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة، وإنما هو سِنْجٌ وجِلٌّ، يعني بالسنج: الحَجَرَ، وبالجِلِّ: الطين، يعني: الحجارة من هذين الجنسين الحجر والطين، وَالْعَصْفُ: ورق الزرع الذي لم يُعْصَفْ، وواحدته: عَصْفَةٌ [٢٧].

حدثنا ابن هشام، قال: وأخبرني أبو عبيدة النحوي أنه يقال له: العُصَافة والْعَصِيفَة، وأنشدني لِعَلْقَمَةَ بْنِ عَبَدَةَ أحدِ بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم [من البسيط]:

---

[٢٥] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٣٩) حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق به. وله شاهد عن عكرمة من قوله.
أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٢٣) عن عكرمة قوله.
[٢٦] نقله الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٢١٧) عن ابن إسحاق.
[٢٧] ينظر «البداية والنهاية» (٢/ ٢١٧ ـ ٢١٨).

---

(١) قال النحويون: واحدها في القياس إِبِّيلٌ وإِبُّولٌ.

تَسْقِي مَذَانِبَ قَدْ مَالَتْ عَصِيفَتُهَا جُذُورُهَا مِنْ أَتِيِّ الْمَاءِ مَطْمُومُ[1]

وهذا البيت في قصيدة له، وقال الراجز: [من الرجز]

فَصُيِّرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولْ[2]

تفسير الإيلاف

قال ابن هشام: ولهذا البيت تفسير في النحو[3] (١١/أ) و«إيلاف قريش»: إِلْفُهُم

---

(١) المذانب: جمع مذنب، وهو مسيل الماء إلى الروضة، والعصيفة: ورق الزّرع وقد فسره ابن هشام، وجذورها بالجيم المضمومة فهو جمع جذر وهي أصول الشجر هنا، والأتي: السيّل، ومطموم: من قولهم طم الماء وطما: إذا علا وارتفع.
وينظر: ديوانه ص (٥٥). ولسان العرب (٩/ ٢٤٧) (عصف)، (٤/ ١٢١) (جذر)، وتاج العروس (٢٤/ ١٦٢) (عصف)، وأساس البلاغة (طمم)، وجمهرة اللغة ص (٨٨٥)، وتاج العروس (١٠/ ٣٨٠) (جدر).

(٢) لرؤبة في ملحق ديوانه ص ١٨١؛ وخزانة الأدب ١٠/ ١٦٨، ١٧٥، ١٨٤، ١٨٩؛ وشرح التصريح ١/ ٢٥٢؛ وشرح شواهد المغني ١/ ٥٣؛ والمقاصد النحوية ٢/ ٤٠٢؛ ولحميد الأرقط في الدرر ٢/ ٢٥٠؛ والكتاب ١/ ٤٠٨؛ وبلا نسبة في أوضح المسالك ٢/ ٥٢؛ والجنى الداني ص ٩٠؛ وخزانة الأدب ٧/ ٧٣؛ ورصف المباني ص ٢٠١؛ وسرّ صناعة الإعراب ص ٢٩٦؛ وشرح الأشموني ١/ ١٥٨؛ ولسان العرب ٩/ ٢٤٧ (عصف)؛ ومغني اللبيب ١/ ١٨٠؛ والمقتضب ٤/ ١٤١، ٣٥٠؛ وهمع الهوامع ١/ ١٥٠؛ وتاج العروس ٢٤/ ١٦١ (عصف).

(٣) تفسيره أن الكاف زائدة لكونها قد تكون حرفاً. ومثل، لا تكون إلاّ اسماً. فزيادة الحرف أولى من زيادة الاسم، والمراد لزيادتها التأكيد. قال ابن جني (في سر الصناعة): وأما قوله:

فَصُيِّرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولْ

فلا بدّ من زيادة الكاف، فكأنه قال: فصيروا مثل عصف مأكول، فأكد الشبه بزيادة الكاف كما أكد الشبه بزيادة الكاف في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ إلا أنه في الآية أدخل الحرف على الاسم، وهذا سائغ، وفي البيت أدخل الاسم على الحرف، فشبه شيئاً بشيء. انتهى.
وأنشده سيبويه على أنها فيه اسم لضرورة الشعر، قال: «إن ناساً من العرب إذا اضطروا في الشعر جعلوها بمنزلة مثل. قال الراجز:

فَصُيِّرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولْ

وقال الآخر:

وصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤَثْفِينْ

قال الأعلم: أدخلا مثلاً على الكاف إلحاقاً لها بنوعها من الأسماء ضرورة. وجاز الجمع بينهما جوازاً حسناً لاختلاف لفظيهما مع ما قصده من المبالغة في التشبيه. ولو كرر المثل لم يحسن.
وقال صاحب الكشاف عند قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد، كما كررها من قال: وأنشد البيت وما بعده.
وأورد عليه أن الكاف تفيد توكيد التشبيه لا تأكيد النفي، ونفي المماثلة المهملة أبلغ من نفي المماثلة =

الخروجَ إلى الشام في تجارتهم، وكانَتْ لهم خَرْجَتَانِ: خَرْجَةٌ في الشتاء، وخَرْجَةٌ في الصيف.

أخبرنا ابن هشام قال: أخبرني أبو زيد الأنصاريُّ أن العرب تقول: أَلِفْتُ الشَّيْءَ إِلْفاً وَأَلَفْتُهُ إِيلاَفاً، في معنى واحد؛ وأنشدني لذي الرُّمَّة [من الطويل]:

مِنَ الْمُؤْلِفَاتِ الرَّمْلَ أَدْمَاءُ حُرَّةٌ شُعَاعُ الضُّحَى فِي لَوْنِهَا يَتَوَضَّحُ[1]

وهذا البيت في قصيدة له، وقال مَطْرُودُ بن كعب الخزاعيُّ [من الكامل]:

الْمُنْعِمِينَ إِذَا النُّجُومُ تَغَيَّرَتْ وَالظَّاعِنِينَ لِرِحْلَةِ الإِيلاَفِ[2]

وهذا البيت في أبيات له سأذكرها في موضعها، إن شاء الله تعالى.

والإيلاف أيضاً: أن يكون للإنسان أَلَفٌ من الإبل أو البقرِ أو الغنم أو غيرِ ذلك؛ يقال: آلَفَ فُلاَنٌ إِيلاَفاً؛ قال الْكُمَيْتُ بن زيد أَحَدُ بني أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد [من المتقارب]:

= المؤكدة، فليست الآية نظيراً للبيت. وأجيب بأنها تفيد تأكيد التشبيه إن سلباً فسلب، وإن إثباتاً فإثبات.

قال ابن هشام (في المغني): وفي الآية قول ثالث، وهو أن الكاف ومثلاً لا زائد منهما. ثم اختلف، فقيل مثل بمعنى الذات، وقيل بمعنى الصفة، وقيل: الكاف اسم مؤكد بمثل، كما عكس ذلك من قال:

فصيِّروا مثل كعصفٍ مأكولْ

وأورد عليه الدماميني بأنه يلزم عليه إضافة المؤكد إلى التأكيد، والبصريون لا يعتدون بها لأنها في غاية الندرة، فلا ينبغي تخريج التنزيل عليها.

والشارح المحقق لمَّا حكم بزيادة الكاف في البيت ورد عليه سؤال، وهو ما مجرور مثل؟ فأجاب بجوابين، أولهما لابن جنى (في سر الصناعة)، وثانيهما مأخوذ أيضاً من تقريره، وقد بسط الكلام فيه.

(١) الأدماء من الظباء: السمراء الظهر البيضاء البطن، والأدمة في الإبل: البياض الخالص، والأدمة في الآدميين أن يميل اللون إلى السمرة قليلاً، وشعاع الضحى: بريق لونه، ويتوضح: يتبين. وينظر: ديوانه ص ١١٩٧؛ ولسان العرب ٩/ ١٠ (ألف)، ١٢/ ١٢ (أدم)؛ ومقاييس اللغة ١/ ١٣١؛ وتهذيب اللغة ١٤/ ٢١٥، ١٥/ ٣٧٨؛ والكامل ص ٨٧٢؛ والأغاني ٥/ ٣٠٣؛ وتاج العروس ٢٣/ ٣١ (ألف)، (أدم)؛ وبلا نسبة في جمهره اللغة ص ١٠٩١.

(٢) تغيَّرت: يعني استحالت عن عادتها من المطر على مذهب العرب في النجوم.
ومن رواه: تغبَّرت... تغبرن بالباء المنقوطة بواحدة من أسفل فمعناه: قل مطرها من الغبر وهي البقية.
وينظر: لسان العرب (٩/ ١١٤) (رجف).

بِـعَـامٍ يَـقُـولُ لَـهُ الْـمُـؤْلِـفُـو نَ: هَـذَا الْـمُـعِـيـمُ لَـنَـا الْـمُـرْجِـلُ[1]

وهذا البيت في قصيدة له.

والإيلاف أيضاً: أن يصير القوم ألْفاً، يقال: آلَفَ الْقَوْمُ إيلافاً؛ قال الْكُمَيْتُ بن زَيْدٍ [من الوافر]:

وَآل مُـزَيْـقِـيَـاءَ غَـدَاةَ لاَقَـوْا بَـنِـي سَـعْـدِ بْـنِ ضَـبَّـةَ مُـؤلِـفِـيـنَـا

وهذا البيت في قصيدة له.

والإيلاف أيضاً: أن يُؤْلَفَ الشيءُ إلى الشيء فيألفه ويلزمه، يقال: آلَفْتُهُ إيَّاهُ إيلافاً.

والإيلاَفُ أيضاً: أن تُصَيِّر ما دون الأَلْفِ أَلْفاً، يقال: آلفته إيلافاً.

ما صار إليه قائد الفيل وسائسه

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر، عن عمرة ابنة عبد الرحمن بن سعد بْنِ زُرَارَةَ، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: لقد رأيتُ قَائِدَ الفِيلِ وسائسَهُ بمكَّة أَعْمَيَيْنِ مُقْعَدَيْنِ يَسْتَطْعِمَانِ الناسَ [٢٨].

حادث الفيل في شعر العرب

قال ابن إسحاق: فلما رد الله الحبشة عن مَكَّة، وأصابهم بما أصابهم به من النِّقْمة، أعْظَمَتِ العربُ قريشاً، وقالوا: هم أَهْلُ الله، قَاتَلَ الله عنهم، وكفاهم مُؤْنَةَ عدوهم، فقالوا

---

[٢٨] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٢٥) من طريق يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق به.
وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٢١٩) من جهة ابن إسحاق. ووقع عنده سمرة بدل عمرة وهو خطأ والصواب ما أثبتناه.
وذكره أيضاً في «تفسيره» (٤/ ٥٥٢) من طريق ابن إسحاق وقال: ورواه الواقدي عن عائشة مثله ورواه عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: كانا مقعدين يستطعمان الناس عند أساف ونائلة حيث يذبح المشركون ذبائحهم. اهـ. وأثر عائشة ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٩٦) وعزاه لابن إسحاق في السيرة والواقدي وأبي نعيم والبيهقي وابن مردويه.

---

(١) المُعِيمُ: هو من العيمة وهو الشوق إلى اللبن. والمرجل: الَّذي تذهب فيه إبلهم فيمشون على أرجلهم.
ومن رواه: المرحل... المُرْحِلُ. بالحاء المهملة فمعناه يرحلهم عن بلادهم لطلب الخصب، يريد أنَّه عام شديد.
وينظر: ديوانه (٢/ ١٥)، ولسان العرب (١٢/ ٤٣٣) (عيم)، وتهذيب اللغة (٣/ ٢٥٣)، والمعاني الكبير ص (٤٢٠) (١٢٤٣).

في ذلك أشعاراً يذكُرُونَ فيها ما صنع الله بالحبشة، وما رد عن قُرَيْشٍ من كيدهم.

نسب ابن الزبعري وشعره في حادث الفيل

فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى بن عَدِيِّ بن قَيْس بن عَدِيِّ بن سَعْدِ بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْرٍ [من الكامل]:

تَنكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ إِنَّهَا ... كَانَتْ قَدِيماً لاَ يُرَامُ حَرِيمُهَا[1]

لَمْ تَخْلِقِ الشِّعْرَىٰ لَيَالِيَ حُرِّمَتْ ... إِذْ لاَ عَزِيزَ مِنَ الأَنَامِ يَرُومُهَا[2]

سَائِلْ أَمِيرَ الْجَيْشِ عَنْهَا مَا رَأَىٰ ... وَلَسَوْفَ يُنْبِي الْجَاهِلِينَ عَلِيمُهَا

سِتُّونَ أَلْفاً لَمْ يَئُوبُوا أَرْضَهُمْ ... بَلْ لَمْ يَعِشْ بَعْدَ الإِيَابِ سَقِيمُهَا[3]

دَانَتْ بِهَا عَادٌ وَجُرْهُمُ قَبْلَهُمْ ... وَاللَّهُ مِنْ فَوْقِ الْعِبَادِ يُقِيمُهَا[4]

قال ابن إسحاق: يعني ابنُ الزِّبَعْرَىٰ بقوله: «بعد الإياب سقيمُهَا»: أَبْرَهَةَ؛ إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه حتى مات بصنعاء.

نسب أبي قيس ابن الأسلت وشعره في الفيل

وقال أبو قيس بن الأَسْلَتِ الأنصاريُّ ثم الخَطْمِيُّ، واسمه: صَيْفِيٌّ. قال ابن هشام: أبو قيس صيفيُّ بن الأسلت بن جُشَمَ بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مُرَّة[5] بْنِ مالك بن الأَوْس [من المتقارب]:

وَمِنْ صُنْعِهِ يَوْمَ فِيلِ الْحُبُو ... شِ إِذْ كُلَّمَا بَعَثُوهُ رَزَمْ[6]

مَحَاجِنُهُمْ تَحْتَ أَقْرَابِهِ ... وَقَدْ شَرَمُوا أَنْفَهُ فَانْخَرَمْ[7]

---

(١) يروى مكانه تنكبوا، وقال الخشني: تنكبّوا: أي أرجعوا خوفاً منها. تقول: نكبت فلاناً عن الشيء إذا صرفته عنه صرف هيبة وخوف.

(٢) الشِّعْرى: اسم النجم، وهما شعريّان: إحداهما الغميصاء وهي التي في ذراع الأسد، والأخرى التي تتبع الجوزاء، وهي أضوأ من الغميصاء.

(٣) لم يَئُوبُوا أرضهم: أي لم يرجعوا إلى أرضهم.
يقال: آب إلى كذا أي: رجع إليه. وكان وجه الكلام أن يقول: إلى أرضهم، فحذف حرف الجر وأوصل الفعل.

(٤) دانت بها عاد: أي أطاعت، والدِّين الطاعة. وينظر البداية والنهاية (٢/ ٢١٩ ـ ٢٢٠).

(٥) وقع في رواية الخشني: ابن عامرة، وقال الخشني: ابن عامرة بن مرّة. كذا وقع، ويروى ابن عامر وبإثبات التاء وهو الصواب.

(٦) كلما بعثوه رزم: يقال: رزم البعير إذا ثبت بمكانه فلم يبرح، أكثر ما يكون ذلك من الإعياء.

(٧) محاجنهم: جمع محجن وهي عصاً معوجّة وقد تقدم تفسيره. وأقرابه: جمع قرب وهو الخصر، =

وَقَدْ جَعَلُوا (١١/ب) سَوْطَهُ مِغْوَلاً إِذَا يَمَّمُوهُ قَفَاهُ كُلِمْ[1]

فَوَلَّى وَأَدْبَرَ أَدْرَاجَهُ وَقَدْ بَاءَ بِالظُّلْمِ مَنْ كَانَ ثَمْ[2]

فَأَرْسَلَ مِنْ فَوْقِهِمْ حَاصِباً فَلَفَّهُمُ مِثْلَ لَفِّ الْقُزُمْ[3]

تَحُضُّ عَلَى الصَّبْرِ أَحْبَارُهُمْ وَقَدْ ثَأَجُوا كَثُؤَاجِ الْغَنَمْ[4]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له، والقصيدة أيضاً تروى لأمية بن أبي الصلت.

قال ابن إسحاق: وقال أبو قيس بن الأسلت [من الطويل]:

فَقُومُوا فَصَلُّوا رَبَّكُمْ وَتَمَسَّحُوا بِأَرْكَانِ هٰذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الأَخَاشِبِ[5]

فَعِنْدَكُمُ مِنْهُ بَلاَءٌ مُصَدَّقٌ غَدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكَتَائِبِ[6]

كَتِيبَتُهُ بِالسَّهْلِ تَمْشِي وَرِجْلُهُ عَلَى الْقَاذِفَاتِ فِي رُءُوسِ الْمَنَاقِبِ[7]

فَلَمَّا أَتَاكُمْ نَصْرُ ذِي الْعَرْشِ رَدَّهُمْ جُنُودُ الْمَلِيكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبِ[8]

فَوَلَّوْا سِرَاعاً هَارِبِينَ وَلَمْ يَؤُبْ إِلَىٰ أَهْلِهِ مِلْحِبْشِ غَيْرُ عَصَائِبِ[9] [٢٩]

---

[٢٩] ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٢١٩ ـ ٢٢٠) من جهة ابن إسحاق.

= وشرَموا: شقُّوا، وانخرم: انشَق أيضاً.

(١) المغول: بالغين المعجمة سكين كبيرة دون المشمل، والمشمل سيف صغير. وقال بعضهم: المغول هي السكين التي تكون في السوط، ومن رواه: مِغوَلاً... مِغوَلاً: بالعين المهملة فهي هذه الفأس التي تنقر بها الحجارة، ويمّموه: قصدوه، وكلم: جرح والكلم: الجرح.

(٢) أدبر أدراجه: أي رجع من حيث جاء، باء بالظلم: أي رجع مستحقًا به.

(٣) الحاصب هنا: الحجارة، والقُزُمُ: صغار الغنم.

(٤) ثأجوا: صاحوا. وينظر: ديوانه ص (٥٧)، ولسان العرب (٢/ ٢١٩) (ثأج)، وتاج العروس (٥/ ٤٤١) (ثأج). وينظر البداية والنهاية (٢/ ٢٢٠).

(٥) فصلُّوا ربكم: أي ادعوا ربَّكم، وقد تكون الصلاة الدعاء، والأخاشب: جبلان بمكة فجمعهما مع ما حولهما وإنما هما أخشبان.

(٦) الكتائب: جمع كتيبة وهي العسكر.

(٧) القاذفات: أعالي الجبال البعيدة، والمناقب: جمع منقبة وهي الطريق في رأس الجبل.

(٨) السافي هنا: الذي غطّاه التراب يقال: سفت الرّيح التُّراب.
والحاصب: الذي أصابته الحجارة وهما على معنى السبب وقد يكون السَّافي والحاصب يراد بهما اسم للفاعل حقيقة.

(٩) العصائب: الجماعات. وينظر البداية والنهاية (٢/ ٢٢٠، ٢٢١).

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاريُّ قوله: «على القاذفات في رءوس المناقب» وهذه الأبيات في قصيدة لأبي قيس سأذكرها في موضعها إن شاء الله، وقوله: «غداة أبي يكسوم» يعني: أَبْرَهَةَ؛ كان يُكْنَىٰ أبا يَكْسُومَ.

شعر طالب بن أبي طالب في حادث الفيل

قال ابن إسحاق: وقال طالب بن أبي طالب بن عبد المطلب [من الطويل]:

أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَاحِسٍ ... وَجَيْشِ أَبِي يَكْسُومَ إِذْ مَلَئُوا الشِّعْبَا؟[1]

فَلَوْلاَ دِفَاعُ اللّهِ لاَ شَيْءَ غَيْرُهُ ... لأَصْبَحْتُمُ لاَ تَمْنَعُونَ لَكُمْ سِرْبَا[2]

قال ابن هشام: وهذان البيتان في قصيدة له في يَوْمِ بَدْرٍ سأذكرها في موضعها، إن شاء الله تعالى.

شعر أبي الصلت في حادث الفيل

قال ابن إسحاق: وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي في شأن الفيل، ويذكر الحنيفية دين إبراهيم، عليه السلام.

قال ابن هشام: تُرْوَىٰ لأمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي [من الخفيف]:

إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا ثَاقِبَاتٌ ... لاَ يُمَارِي فِيهِنَّ إِلاَّ الْكَفُورُ[3]

خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَكُلٌّ ... مُسْتَبِينٌ جِسَابُهُ مَقْدُورُ

ثُم يَجْلُو النَّهَارَ رَبٌّ رَحِيمٌ ... بِمَهَاةٍ شُعَاعُهَا مَنْشُورُ[4]

حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمُغَمَّسِ حَتَّىٰ ... ظَلَّ يَحْبُو كَأَنَّهُ مَعْقُورُ[5]

لاَزِماً حَلْقَةَ الْجِرَانِ كَمَا قُطْـ ... ـرَ مِنْ صَخْرِ كَبْكَبٍ مَحْدُورُ[6]

---

(١) داحس: اسم فرس مشهور وكانت حرب بسببه والشعب: الطريق بين جبلين.
وينظر: لسان العرب (١٣/٤٧٦) (بره).

(٢) السَّرب بفتح السين، المال الراعي، والسرب بكسر السين، النَّفس، ويقال القوم، ومنه أصبح آمناً في سربه أي في نفسه، وقيل في قومه.

(٣) يُمارِي أي: يشك والمرية: الشك.
وقال آخرون: المِرية: التردد في الأمر، وهو أخصُّ من الشَّك، قاله الراغب: وفيه نظر؛ فإن الشكَّ تردد أيضاً مع تساوي الطرفين.

(٤) بمهاة شعاعها منشور: يعني الشمس، والمهاة من أسمائها.

(٥) المغمَّس: موضع قرب مكة من طريق الطائف من غمست الشيء في الشيء.

(٦) الجران: باطن حلق البعير، فاستعاره هنا للفيل. وفي كتاب العين: الجران: الصَّدر. وقطُر: أي رمي به على جانبه، والقطر: الجانب، وكبكب: اسم جبل.

حَوْلَهُ مِنْ مُلُوكِ كِنْدَةَ أَبْطَا ... لٌ مَلاَوِيثُ[1] فِي الْحُرُوبِ صُقُورُ
خَلَّفُوهُ ثُمَّ ٱبْذَعَرُّوا[2] جَمِيعاً ... كُلُّهُمْ عَظْمُ سَاقِهِ مَكْسُورُ
كُلُّ دِينٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّـ ... ـهِ إِلاَّ دِينَ الْحَنِيفَةِ بُورُ[3] [٣٠]

قال ابن هشام: وقال الفرزْدق ـ واسمه: هَمّام بن غالب أحد بني مُجَاشِع بن دَارِم بن مالك بن حَنْظَلَةَ بن مَالِكِ بن زَيْدِ مَنَاةَ بن تميم ـ يمدح سُلَيْمَانَ بن عبد الملك بن مَرْوَانَ، ويَهْجُو الحَجَّاج بن يوسف، ويذكر الفيل وجيشه ـ [من الطويل]:

فَلَمَّا طَغَى الْحَجَّاجُ حِينَ طَغَىٰ بِهِ ... غِنًى، قَالَ: إِنِّي مُرْتَقٍ فِي السَّلاَلِمِ
فَكَانَ كَمَا قَالَ ٱبْنُ نُوحٍ: سَأَرْتَقِي ... إِلَىٰ جَبَلٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَاءِ عَاصِمِ
رَمَى اللَّهُ فِي جُثْمَانِهِ مِثْلَ مَا رَمَىٰ ... عَنِ الْقِبْلَةِ الْبَيْضَاءِ ذَاتِ الْمَحَارِمِ[4]
جُنُوداً تَسُوقُ الْفِيلَ حَتَّىٰ أَعَادَهُمْ ... هَبَاءً وَكَانُوا مُطْرَخِمِّي الطَّرَاخِمِ[5]
نُصِرْتَ كَنَصْرِ الْبَيْتِ؛ إِذْ سَاقَ فِيلَهُ ... إِلَيْهِ عَظِيمُ الْمُشْرِكِينَ الأَعَاجِمِ

وهذه الأبيات في/ (١٢أ) قصيدة له.

شعر عبد الله بن قيس الرقيات في حادث الفيل

قال ابن هشام: وقال عَبْدُ الله بن قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ أحدُ بني عامر بن لؤي بن غالب يذكر أبرهة، وهو الأشرمُ، والفيلَ [من الخفيف]:

كَادَهُ الأَشْرَمُ الَّذِي جَاءَ بِالْفِيـ ... ـلِ فَوَلَّى وَجَيْشُهُ مَهْزُومُ
وَاسْتَهَلَّتْ عَلَيْهِمُ الطَّيْرُ بِالْجَنْـ ... ـدَلِ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ مَرْجُومُ
ذَاكَ مَنْ يَغْزُهُ مِنَ النَّاسِ يَرْجِعْ ... وَهْوَ فَلٌّ مِنَ الْجُيُوشِ ذَمِيمُ[6]

---

[٣٠] ينظر «البداية والنهاية» (٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣).

---

(١) ملاويث: أشداء.
(٢) ٱبذعروا: تفرّقوا.
(٣) بور: أي هالك من البوار. وهو الهلاك. وينظر ديوانه ص (٤٧) وينظر البداية والنهاية (٢/ ٢٢٠).
(٤) الجثمان: الجسم، والقبلة: البيضاء، يعني الكعبة.
(٥) الهباء: ما يظهر في شعاع الشمس إذا دخلت من موضع ضيق، والمطرخم: الممتلىء كبراً وغضباً. وينظر ديوانه ص (٦١٣).
(٦) والفلُّ: الجيش المنهزم.
وينظر ديوانه ص (١٩٢) والبداية والنهاية (٢/ ٢٢١).

وهذه الأبيات في قصيدة له.

سيف بن ذي يزن الحميري يطالب بملك اليمن ويستنجد قيصر الروم

قال ابن إسحاق: فلما هلك أبرهة مَلَكَ الحبشةَ ابنُهُ يَكْسُومُ بن أبرهة، وبه كان يُكْنَىٰ، فلما هلك يكسومُ بن أبرهة مَلَكَ اليمنَ في الحبشة أخوه مَسْرُوق بن أبرهة، فلما طال البلاءُ على أهل اليمن خَرَجَ سيف بن ذي يَزَنَ الحميريُّ، وكان يكنى بأبي مُرَّةَ، حتى قدم على قَيْصَرَ ملك الروم، فشكا إليه ما هُمْ فيه، وسأله أن يخرجهم عنه، ويليهم هو، ويبعث إليهم من شاء من الروم؛ فيكونُ له ملك اليمن، فلم يُشْكِهِ، فخرج حتى أتى النعمانَ بن المنذر، وهو عامل كِسْرَىٰ على الحيرة وما يليها من أرض العراق، فشكا إليه أمر الحبشة، فقال له النعمان: إن لي على كسرى وِفَادَةً في كُلِّ عام، فَأَقِمْ حتى يكون ذلك، ففعل، ثم خرج معه، فأدخله على كِسْرَىٰ، وكان كسرى يجلس في إيوان مجلسه الذي فيه تاجه، وكان تاجه مثل الْقَنْقَلِ[1] العظيم ـ فيما يزعمون ـ يضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة معلقاً بسلسلة من ذهب في رَأْسِ طاقة في مجلسه ذلك، وكانت عُنُقُهُ لا تحمل تاجه، إنما يُسْتَرُ عليه بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك، ثم يُدْخِلُ رأسه في تاجه، فإذا اسْتَوَىٰ في مجلسه كُشِفَتْ عنه الثياب، فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك إلا بَرَكَ هيبةً له، فلما دخل عليه سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنَ برك.

قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة أن سيفاً لما دخل عليه طأطأ رأسه، فقال الملك: إن هذا الأحمق يدخل عَلَيَّ من هذا الباب الطويل ثم يطأطىء رأسه، فقيل ذلك لسيف، فقال: إنما فعلت هذا لِهَمِّي، لأنه يضيق عنه كل شيء.

قال ابن إسحاق: ثم قال له: أيها الملك، غَلَبَتْنَا على بلادنا الأَغْرِبَةُ، فقال له كسرَىٰ: أَيُّ الأغربة: الحبشة، أم السند؟ فقال: بل الحبشة، فجئتك لتنصُرَنِي ويكونَ مُلْكُ بلادي لك، قال: بَعُدَتْ بلادك مع قلة خيرها؛ فلم أكن لأُوَرِّطَ جيشاً[2] من فارس بأرض العرب، لا حاجة لي بذلك، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم وافٍ، وكساه كُسْوَةً حسنة، فلما قبض ذلك منه سَيْفٌ خرج فجعل ينثر تلك الوَرِقَ للناس، فبلغ ذلك الملك، فقال: إن لهذا لشأنًا، ثم بعث إليه، فقال: عَمَدتَّ إلى جِبَاءِ المَلِكِ تنثره للناس!! فقال: وما أصنع بهذا؟! ما جبال أرضي التي جئتُ منها إلا ذَهَبٌ وفضة!! يرغِّبُه فيها، فجمع كسرى

---

(١) القنقل: المكيال.

(٢) لأورط جيشاً: أي أنشبهم في شر والورطة: الانتشاب في شره.

مَرَازِبَتَهُ[1] فقال لهم: ماذا تَرَوْنَ في أمر هذا الرجل وما جاء له؟ فقال قائل: أيها الملك، إني في سُجُونِكَ رجالاً قد حبستهم للقتل، فلو أنك بعثتهم معه، فإن يَهْلِكُوا كان ذلك الذي أَرَدتَّ (١٢/ب) بهم، وإن ظَفِرُوا كان مُلْكاً ازددته؛ فبعث معه كسرى من كان في سجونه، وكانوا ثمانمائة رجلٍ، واستعمل عليهم رجلاً منهم، يقال له: وَهْرِزُ، وكان ذا سِنٍّ فيهم، وأَفْضَلَهُمْ حسباً وبيتاً، فخرجوا في ثمان سفائن، فغرقت سفينتان، ووصل إلى ساحل عَدَن ستُّ سفائن فجمع سَيْفٌ إلى وَهْرِزَ مَنِ استطاع من قومه، وقال له: رِجْلِي مع رجلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً، قال له وَهْرِزُ: أنصفتَ، وخرج إليه مسروق بن أبرهة مَلِكُ اليمن، وجمع إليه جنده، فأرسل إليهم وَهْرِزُ ابناً له ليقاتلهم فيختبر قتالهم، فقُتِلَ ٱبْنُ وَهْرِزَ، فزاده ذلك حَنَقاً عليهم، فلما تواقف الناس على مَصَافِّهم قال وَهْرِزُ: أَرُونِي مَلِكَهُمْ، فقالوا له: أترى رجلاً على الفيل عاقداً تَاجَهُ على رأسه بين عينيه ياقوتةٌ حمراء؟ قال: نعم، قالوا: ذاك مَلِكُهُمْ، فقال: اتركوه، قال: فوقفوا طويلاً، ثم قال: عَلاَمَ هُو؟ قالوا: قد تَحَوَّل على الفرس، قال: اتركوه، فوقفوا طويلاً، ثم قال: عَلاَمَ هو؟ قالوا: قد تحول على البغلة، قال وَهْرِزُ: بنتُ الحمارِ ذَلَّ وَذَلَّ مُلْكُهُ، إني سأرميه: فإن رأيتم أصحابه لم يتحرَّكوا فانْبُتُوا حتى أُوذِنَكُمْ؛ فإني قد أخطأت الرجل، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولاَثُوا به[2] فقد أصبتُ الرجل فاحملوا عليهم، ثم وَتَّرَ قوسه، وكانت فيما يزعمون لا يُوَتِّرُهَا غَيْرُهُ من شدتها، وأمر بحاجبيه فعُصِبَا له، ثم رماه فَصَكَّ الياقوتة التي بين عينيه فتغلغَلَتِ النَّشَابةُ في رأسه حتى خرجَتْ من قفاه، ونُكِسَ عن دابته، واستدارت الحبشة وَلاَثَتْ به، وحَمَلَتْ عليهم الفُرْسُ، وانهزموا فقُتلوا وهربوا في كل وجه، وأقبل وَهْرِزُ ليدخل صَنْعَاء، حتى إذا أتى بابها قال: لا تدخلُ رايتي مُنَكَّسة أبداً، اهدموا الباب، فهدم، ثم دخلها ناصباً رايته، فقال سيف بن ذي يزن الحميريُّ [من مجزوء الوافر]:

يَظُنُّ النَّاسُ بِالْمَلِكَيْـ ... ـنِ أَنَّهُمَا قَدْ ٱلْتَأَمَا[3]

وَمَنْ يَسْمَعْ بِلأَمِهِمَا ... فَإِنَّ الْخَطْبَ قَدْ فَقُمَا[4]

قَتَلْنَا الْقَيْلَ مَسْرُوقاً ... وَرَوَّيْنَا الْكَثِيبَ دَمَا[5]

---

(١) المرازبة: وزراء الفرس، واحدهم: مرزبان.

(٢) لاثوا به: أي اجتمعوا حوله.

(٣) قد التأما: أي قد اصطلحا واتفقا.

(٤) الخطب: الأمر العظيم، وفقم: عظم، ويروى: فقم بكسر القاف والصواب فتحها.

(٥) القيل: الملك. والكثيب: كدس الرّمل.

وَإِنَّ الْـقَـيْـلَ قَـيْـلَ الـنَّـا ... سِ وَهْـرِزَ مُـقْـسِـمٌ قَـسَـمَـا
يَـذُوقُ مُـشَـعْـشَـعـاً حَـتَّـىٰ ... يُـفِـيءَ الـسَّـبْـيَ وَالـنَّـعَـمَـا[1] [٣١]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبيات له، وأنشدني خَلاَّدُ بن قُرَّةَ السَّدُوسِيُّ آخرَهَا بيتاً لأعشَىٰ بني قيس بن ثعلبة في قصيدة له؛ وغيره من أهل العلم بالشعر ينكرها له.

قال ابن إسحاق: وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي، قال ابن هشام: وتُرْوَىٰ لأمية بن أبي الصلت [من البسيط]:

لِـيَـطْـلُـبِ الـوِتْـرَ أَمْـثَـالُ ابْـنِ ذِي يَـزَنٍ ... رَيَّـمَ فِـي الْـبَـحْـرِ لِـلأَعْـدَاءِ أَحْـوَالاَ[2]
يَـمَّـمَ قَـيْـصَـرَ لَـمَّـا حَـانَ رِحْـلَـتُـهُ ... فَـلَـمْ يَـجِـدْ عِـنْـدَهُ بَـعْـضَ الَّـذِي سَـالاَ[3]
ثُـمَّ ائْـتَـنَـىٰ نَـحْـوَ كِـسْـرَىٰ بَـعْـدَ عَـاشِـرَةٍ ... مِـنَ الـسِّـنِـيـنَ يُـهِـيـنُ الـنَّـفْـسَ وَالـمَـالاَ[4]
حَـتَّـىٰ أَتَـىٰ بِـبَـنِـي الأَحْـرَارِ يَـحْـمِـلُـهُـمْ ... إِنَّـكَ عَـمْـرِي لَـقَـدْ أَسْـرَعْـتَ قِـلْـقَـالاَ[5]
لِـلَّـهِ دَرُّهُـمُ مِـنْ عُـصْـبَـةٍ خَـرَجُـوا ... مَـا إِنْ أَرَىٰ لَـهُـمُ فِـي الـنَّـاسِ أَمْـثَـالاَ
بِـيـضـاً مَـرَازِبَـةً غُـلْـبـاً أَسَـاوِرَةً ... أُسْـداً تُـرَبِّـبُ فِـي الْـغَـيْـضَـاتِ أَشْـبَـالاَ[6]
يَـرْمُـونَ عَـنْ شُـدُفٍ كَـأَنَّـهَـا غُـبُـطٌ ... بِـزَمْـخَـرٍ يُـعْـجِـلُ الـمَـزْمِـيَّ إِعْـجَـالاَ[7]

---

[٣١] ذكره بتمامه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٢٢١ ـ ٢٢٣). وذكره أيضاً الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٣٩) دون ذكر الشعر.

---

(١) المشعشع: الشراب الممزوج بالماء، ويفيء: يغنم. والنَّعم: الإبل.
وينظر ديوان الأعشى ص (٣٤٩)، والبداية والنهاية (٢/ ٢٢٣)، وينظر البيت الأول والثاني في لسان العرب، (جزأ)، (١٢/ ٥٣١) (لأم)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٤٠٠)، وتاج العروس (لأم)، وكتاب العين (٥/ ١٨٢)، (٦/ ١٦٣)، تهذيب اللغة (٩/ ٢٠٤)، وتاج العروس (فقم).

(٢) الوِتْر: طلب الثأر، ورَيَّم في البحر: أي أقام.

(٣) يَمَّمَ: قصد، قيصر: ملك الروم.

(٤) كسرى: ملك الفرس. يقال: بفتح الكاف وكسرها، والكسر أفصح.

(٥) بنو الأحرار: يعني الفُرس. والقلقال: التحرُّك. والسُّرعة.

(٦) غلباً: شداداً. والأساورة: رماة الفرس. والمرازبة: وزراء الفرس.
وتربب وتَرَّبت بالباء والتاء: في معنى واحد بمعنى التربية.
والغيضات: جمع غيضة وهي الشجر الملتف.
والأشبال: أولاد الأسود فاستعارها لهم.

(٧) شدف: عظام الأشخاص يعني به القسيّ.
ومن رواه: عن عتل يرمون عن عَتَلٍ، فالعتل: القسيُّ الفارسيَّة، وغبط: جمع غبيط، وهي عيدان الهودج وأداته، والزَّمخر: القصب اليابس يعني قصب النشاب.

أَرْسَلْتَ أُسْداً عَلَى سُودِ الْكِلاَبِ فَقَدْ ... أَضْحَىٰ شَرِيدُهُمُ فِي الأَرْضِ فُلَّالا[1]

فَاشْرَبْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقاً ... فِي رَأْسِ غُمْدَانَ دَاراً مِنْكَ مِحْلاَلا[2]

وَاشْرَبْ هَنِيئاً فَقَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ ... وَأَسْبِلِ الْيَوْمَ فِي بُرْدَيْكَ إِسْبَالا[3]

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لاَ قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ ... شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ (١٣/أ) أَبْوَالا[4] [٣٢]

قال ابن هشام: هذا ما صح له مما روى ابن إسحاق منها، إلا آخرها بيتاً قوله [من البسيط]:

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لاَ قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ ... ...

فإنه للنابغة الْجَعْدِيِّ، واسمه عبد الله بن قيس[5] أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن

---

[٣٢] ينظر «البداية والنهاية» (٢/ ٢٢٤) و«تاريخ الطبري» (٢/ ١٤٧ ـ ١٤٨).

---

(١) فلال: منهزمون.

(٢) غمدان: بلد قلت: غُمْدان بضم أوله، وسكون ثانيه، وآخره نون: قصر بصنعاء باليمن، كان منزل الملوك، ولم يزل قائماً حتى هدمه عثمان بن عفَّان.
قال ذو وجدن الهمداني [من الوافر]:

وغمدانُ الذي حدّثتُ عنه ... بناه مشيّداً في رأس نيق

وفي البكري: غمدان: قصبة صنعاء. قال أبو الصلت:

فاشربْ هنيئاً عليك التاج مرتفقاً ... في رأس غمدان داراً منكَ محلالاَ

(٣) شالت نعامتهم: أي هلكوا، يقال: شالت نعامة الرجل إذا مات، والإسبال: إرخاء الثوب، وهنا يريد به الخيلاء والإعجاب.

(٤) قعبان: تثنية قعب وهو قدح يحلب فيه، وشيبا: مزجا وينظر ديوانه ص (٦٥) والبداية والنهاية (٢/ ٢٢٤).

(٥) و(النابغة الجعدي) كنيته أبو ليلى، وهو كما في الاستيعاب: قيس بن عبد الله. وقيل: حيان بن قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وقيل: اسمه حيان بن قيس بن عبد الله بن وحوح بن عدس بن ربيعة بن جعدة. وإنما قيل له: النابغة؛ لأنه قال الشعر في الجاهلية، ثم أقام مدة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر، ثم نبغ فيه فقاله؛ فسمي النابغة. وهو أسن من النابغة الذبياني؛ لأن الذبياني كان مع النعمان بن المنذر، وكان النعمان بن المنذر بعد المنذر بن محرِّق، وقد أدرك النابغة الجعدي المنذر بن محرِّق ونادمه. ذكر عمر بن شبّة أنه عمَّر مائة وثمانين سنة، وأنه أنشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه [من المتقارب]:

لبستُ أناساً فأفنيتُهم ... وأفنيتُ بعد أُناسٍ أُناسا

ثلاثة أهلِين أفنيتهم ... وكان الإلهُ هو المستآسا

فقال له عمر: كم لبثت مع كلّ أهل؟ قال: ستِّين سنة.
وقال ابن قتيبة: عُمِّرَ الجعديُّ مائتين وعشرين سنة ومات بـ «أصبهان».

عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن في قصيدة له.

عدي بن زيد يذكر الأحباش وجلاءهم عن اليمن

قال ابن إسحاق: وقال عدي بن زيد الحِيرِيُّ، وكان أحد بني تميم؛ قال ابن هشام: ثم أحد بني امرىء القيس بن زَيْدِ مَنَاةَ بن تميم، ويقال: عدي من الْعِبَادِ من أهل الحيرة [من المنسرح]:

مَا بَعْدَ صَنْعَاءَ كَانَ يَعْمُرُهَا ... وُلاَةُ مُلْكٍ جَزْلٍ مَوَاهِبُهَا[1]

رَفَعَهَا مَنْ بَنَى لَدَىْ قَزَعِ الْـ ... ـمُزْنِ وَتَنْدَى مِسْكاً مَحَارِبُهَا[2]

مَخْفُوفَةٌ بِالْجِبَالِ دُونَ عُرَى الْـ ... ـكَائِدِ مَا تُرْتَقَى غَوَارِبُهَا[3]

يَأْنَسُ فِيهَا صَوْتُ النُّهَامِ إِذَا ... جَاوَبَهَا بِالْعَشِيِّ قَاصِبُهَا[4]

سَاقَتْ إِلَيْهِ الأَسْبَابُ جُنْدَ بَنِي الْـ ... أَحْرَارِ فُرْسَانُهَا مَوَاكِبُهَا

وَفَوَّزَتْ بِالْبِغَالِ تُوسَقُ بِالْـ ... ـحَتْفِ وَتَسْعَىْ بِهَا تَوَالِبُهَا[5]

حَتَّىْ رَآهَا الأَقْوَالُ مِنْ طَرَفِ الْـ ... ـمَنْقَلِ مُخْضَرَّةً كَتَائِبُهَا[6]

يَوْمَ يُنَادُونَ آلَ بَرْبَرَ وَالْـ ... ـيَكْسُومَ لاَ يُفْلِحَنَّ هَارِبُهَا

وَكَانَ يَوْمٌ بَاقِي الْحَدِيثِ وَزَا ... لَتْ إِمَّةٌ ثَابِتٌ مَرَاتِبُهَا[7]

وَبُدِّلَ الْفَيْجُ بِالزَّرَافَةِ وَالْـ ... أَيَّامُ جُونٌ جَمٌّ عَجَائِبُهَا[8]

بَعْدَ بَنِي تُبَّعٍ نَخَاوِرَةٍ ... قَدِ اطْمَأَنَّتْ بِهَا مَرَازِبُهَا[9]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له، وأنشدني أبو زيد الأنصاري ورواه لي

---

(١) صنعاء: بلد باليمن. وولاة ملك: يريد الذين يدبّرون أمر الناس ويصلحونه. وجزل: كثير.

(٢) القزع: السحاب المتفرق، والمزن: السحاب، والمحارب: الغرف المرتفعة.

(٣) العراء: ما يستر الشيء عنك، وغواربها: أعاليها.

(٤) النُّهام: الذَّكر من البوم. وهو طائر يصيح بالليل. والقاصب: صاحب الزَّمّارة.

(٥) فوَّزت: قطعت المفازة وهي القفر، وتوالبها: جمع تولب، والتولب: ولد الحمار، فجعله هنا للبغال.

(٦) الأقوال: هنا الملوك، والمنقَلُ؛ الطريق المختصرة، والمنقل أيضاً: الأرض التي يكثر فيها النقل وهي الحجارة، والكتائب: العساكر واحدها كتيبة.

(٧) الإمة: بكسر الهمزة: النعمة.

(٨) الفيج: الذي يسير للسلطان بالكتب على رجليه. والزَّرافة: الجماعة من الناس، والزرافة أيضاً: حيوان معروف، وخون خائنة، جمٌّ: كثير. هكذا عند أبي ذر وفي الأصول بالجيم.

(٩) بنو تبّع: ملوك اليمن في القديم، ونخاورة: كرام، وقيل: ملوك.
ينظر: ديوانه (ص: ٧٤)، ولسان العرب (٥/ ١٩٩) (نخر)، وتهذيب اللغة (٧/ ٣٤٥).

عن المُفَضَّل الضَّبِّيّ قوله «يوم ينادون آل بربر واليكسوم»؛ وهذا الذي عنى سَطِيحٌ بقوله: «يليه إرم بن ذي يَزَنْ؛ يخرج عليهم من عَدَنْ؛ فلا يترك أحداً منهم باليمن» والذي عنى شِقٌّ بقوله: «غلام ليس بدني ولا مُدَنّ، يخرج عليهم من بيت ذي يَزَنْ» [٣٣].

ذِكْرُ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ أَمْرُ الفُرْسِ بِاليَمَنِ

مدة ملك الحبشة اليمن وعدد ملوكهم

قال ابن إسحاق: فأقام وَهْرِزُ والفرس باليمن، فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناء الذين باليمن اليوم، وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها أَرْيَاط إلى أن قتلت الفرسُ مسروقَ بن أبرهة وأخرجت الحبشةَ اثنتَيْنِ وسبعين سنة؛ توارث ذلك منهم أربعة: أرياط، ثم أبرهة، ثم يكسوم بن أبرهة، ثم مسروق بن أبرهة.

مآل الفرس في اليمن

قال ابن هشام: ثم مات وَهْرِزُ فأَمَّرَ كِسْرَى ابنَهُ المَرْزُبَانَ بن وَهْرِزَ على اليمن، ثم مات المرزبان فأمّر كسرى ابنه التَّيْنُجَانَ بن الْمَرْزُبَانِ على اليمن، ثم مات التَّيْنُجَانُ فأمَّر كسرى ابنَ التَّيْنُجَانِ على اليمن، ثم عزله وَأَمَّرَ بَاذَانَ فلم يزل بَاذَانُ عليها حتى بعث الله محمداً ـ ﷺ ـ

كسرى يحرض باذان على النبي ﷺ

فبلغني عن الزهري أنه قال: كَتَبَ كِسْرَىٰ إلى باذانَ: إنه بلغني أن رجلاً من قريش خرج بمَكَّة يزعم أنه نبي، فَسِرْ إليه فاسْتَتِبْه: فإن تاب وإلا فابعث إليَّ برأسه، فبعث باذانُ بكتاب كسرَىٰ إلى رسول الله ﷺ فَكَتَبَ إليه رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ الله قَدْ وَعَدَنِي أَنْ يُقْتَلَ كِسْرىٰ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا وَكَذَا» فلما أتى باذانَ الكتابُ توقَّف لينظُرَ، وقال: إنْ كان نبيًا فسيكون ما قال، فَقَتَلَ اللهُ كسرَىٰ في اليوم الذي قال رسول الله، ﷺ.

قال ابن هشام: قتل على يَدَي ابنه شِيرَوَيْهِ، وقال خالد بن حِقّ الشيباني [من الوافر]:

وَكِسْرَىٰ إِذْ تَقَسَّمَهُ بَنُوهُ ... بِأَسْيَافٍ كَمَا اقْتَسَمَ اللُّحَامُ[1]

---

[٣٣] ينظر «البداية والنهاية» (٢/ ٢٢٥).

---

(١) اللُّحام: جمع لحم.